المحاضرة رقم (02) عصر الدايات

ما هي مراحل الحكم العثماني في الجزائر؟ وما هي خصائص كل مرحلة؟ .

أ- عهد البايلربايات (1518 -1587): بدأت هذه المرحلة باعتلاء بابا عروج حكم الجزائر و يمثل هذا العصر أزهى عصور الحكم التركي في الجزائر، حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من النواحي التعليمية و الاقتصادية و العمرانية، و ذلك بفضل التعاون بين فئة الرياس في القيادة و أبناء الجزائر، و قد ساهم في تنمية البلاد و ازدهارها مهاجرو الأندلس الذين وظفوا خبراتهم و مهاراتهم في ترقية المهن و البناء العمراني و تقوية الاقتصاد الجزائري، و قد عين السلطان العثماني أربعة بايلربايات هم: **خير الدين بربروس، حسن آغا إبن خير الدين، صالح رايس و العلج علي**، وقد عمل كل البايلربايات توسيع رقعة الإيالة، حفظ الاستقرار و بسط سيادتهم، محاربة الاسبان و حلفائهم، و جعلوا من الجزائر عاصمة قوية في البحر الأبيض المتوسط. **و يمكن تلخيص عصر البايلربايات من خلال أبرز خصائصه :** -دام عهد البايلر بايات مدة 70 سنة. - يأتي قرار تعيين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني. - كانت السلطة في يد رياس البحر أو جنود البحرية. - تحرير برج فنار عام 1529 من الإسبان، و تحرير بجاية من الاحتلال الاسباني عام 1555، و إنهاء الوجود الاسباني في تونس عام 1574 م. - ازدهرت الجزائر في هذه الفترة التي تميزت الحياة السياسية فيها بالاستقرار و تحالف الجميع ضد العدو الاسباني. - بداية بناء الأسطول الجزائري و تأسست فيها الوحدة الإقليمية للجزائر. وبذلك انتهت مرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر ،تميزت بسيطرة فئة رياس البحر على نظام الحكم حتى نهاية الربع الأخير من القرن السادس عشر، ولعبت خلاله الجزائر دورا كبيرا كقوة بحرية في الصراع الإسلامي المسيحي في حوض البحر الأبيض المتوسط.

ب. عهد الباشوات (1587-1659): قبل البدء في الحديث عن خصائص هذا العهد، و أهم الأحداث التاريخية التي جرت فيه، **لا بد من الإشارة إلى أسباب تغير النظام السابق:** - لقد كان ولاة عهد البايلرباي أقوياء، و أصحاب نفوذ واسع، تخطت سلطتهم الجزائر إلى تونس، و طرابلس بحكم أنهم أصحاب فضل في فتح هذين البلدين، و إلحاقهما بالدولة العثمانية، التي كافأتهم على ذلك بإعطائهم امتيازات واسعة، و لما كانت مدة حكم هؤلاء البايلربايات غير محدودة فكثيرا ما تمتد فترة الواحد منهم عدة سنوات في منصبه، و يصبح صاحب مركز قوي، و نفوذ واسع لدرجة أن الدولة العثمانية بدأت تشتم رائحة التمرد، و محاولة الانفصال عنها، و الاستقلال بهذه البلاد، فتقرر تقصير مدة حكم الوالي إلى ثلاث سنوات فقط، و التنقيص من امتيازاته السابقة، و اختصاصاته، و تغيير لقبه إلى الباشا. - و يذكر بعض المؤرخين أن **الانكشارية** هي التي ظلت تثير تخوفات و شكوك الباب العالي في نية البايلربايات طوال فترة حكمهم، الأمر الذي جعل من رجال الدولة العثمانية يرون أن السلطة في الولايات الثلاث: الجزائر، تونس، طرابلس تحت حكم رجل واحد قد يشكل خطرا على الإمبراطورية العثمانية، و بالتالي لابد من تقسيم الحكم و فصل الولايات عن بعضها البعض، و إسناد كل إدارة إلى باشا يحكم لمدة ثلاث سنوات، و ذلك لإحكام السيطرة على البلاد ومنع حدوث أي تمرد ضدها، و بهذا تكون الدولة العثمانية قد فكرت في تأمين وحدة الإمبراطورية، مانعة أن تكون إدارة شمال إفريقيا كله بيد شخص واحد و لمدة طويلة. - **و قد تميزت هذه المرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر بمايلي : - بعد وفاة أخر بيلربايات الجزائر، قرر السلطان العثماني إدماج الإيالات الثلاث** (الجزائر، تونس، طرابلس) وتعيين باشا تركي في كل من الجزائر و تونس و طرابلس، بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر. - **قيام السلطان العثماني بتعيين باشا كل 3 سنوات** يقوم بإرساله من تركيا و يستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه، على أن يقوم بإرسال باشا آخر من هناك، و بالتالي أصبح كل باشا يشعر أنه ليس في حاجة إلى ولاء الشعب مادامت مدة ولايته محدودة، فأصبح همه الوحيد

هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال طوال فترة حكمه. و مادام الحصول على الثروة هو الهدف الأساسي للباشوات فقد أصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية لا تهمهم. - **انصراف الباشوات إلى السلب و النهب و جمع الثورة** قبل عودته إلى القسطنطينية، مما دفع باليولداش أو رجال الجيش البري إلى الثورة عليهم و إضعاف نظام الحكم في الجزائر. - **التصادم و التنافر بين جنود البحرية و جنود القوات البرية**، و خاصة أن رجال البحرية كانوا يحصلون على غنائم كبيرة من جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوروبية، و هذا الصراع هو الذي تسبب في إضعاف الدولة الجزائرية، و قد راح الأهالي ضحية نتيجة ظلم الانكشارية و انصراف طبقة الرياس إلى مصالحها الخاصة و التخلي – تقريبا – عن دورها في الاهتمام بالرعية و مصالحها- **بروز قوة الرياس أو قوة رجال البحرية الجزائرية** إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر و تسعى لإقامة علاقات تعاون .

ج. عهد الآغاوات (1659-1671): تعتبر هذه الفترة من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر، حيث عرفت فيها البلاد اضطرابات سياسية كبيرة في نظام الحكم، من انقلابات، و اغتيالات، و فساد، و تعرض الحكم التركي فيها لهزات عنيفة عجز فيها عن توفير الأمن و الاستقرار الداخلي. و يصف معظم المؤرخين عصر الآغاوات بالدموي و ذلك لكثرة عمليات الاغتيال التي يرجعون سببها أساسا إلى طبيعة تعيين الآغا، و المتمثلة في انتخاب آغا جديد من طرف الجند كل شهرين حسب الأقدمية من بين ضباط الانكشارية، و هو ما يشكل بحد ذاته خطرا على السلطة، انعكس بدوره سلبا على المجتمع. و برغم قصر فترة نظام الأغوات حتى أن الجند لم يجدوا من يقبل بهذا المنصب الذي أصبح أقبل السبل للموت. **و من أهم خصائص هذا العهد نذكر: كانت سلطة التنفيذية بيد أحد أعضاء الجيش الانكشاري،** أما السلطة التشريعية فيتولاها الديوان. - **أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم،** و بالمقابل سيطرة الانكشارية على السلطة . - **قرر ديوان الانكشارية أن يتولى الآغا الحكم عن طريق الانتخاب**، على أن يبقوا في الحكم لمدة شهرين اثنين فقط، و بالتالي أصبح الديوان هو الذي يقوم بانتخاب **" الآغا "** المنتدب للحكم، بعدما كان الحاكم يعين من قبل السلطان العثماني خلال مرحلتي " البيلربايات، و الباشاوات" . - **اضمحلال نفوذ السلطان العثماني** و غياب السيادة العثمانية في الجزائر، و نتج عن ذلك استياء تركيا من انفصال حكام الجزائر عنها و قطع كل المساعدات عنهم. - **و ضع الاغتيال كقاعدة أساسية** لكي يحل آغا جديد محل آغا قديم رفض التخلي عن السلطة ، وانتهت مدته ،الأمر الذي جعل كل الآغاوات يقتلون عندما حاولوا عدم التخلي عن مناصبهم . - **استفحال الصراعات المحلية** سواء بين ضباط الجيش البري أو ضباط الجيش البحري ، و تذمر أبناء الشعب من الفساد السياسي و انتشار الفوضى في البلاد..

هـ- عهد الدايات (1671-1830): يمثل هذا العهد المرحلة الأخيرة من مراحل التواجد العثماني بالجزائر، و يعتبر نظام الدايات انتصارا لطائفة الرياس، كما يدل ذلك على اختيار الدايات الأربع الأولين من بين طائفة الرياس، و من فترة 1671 إلى 1689 كان الدايات ينتخبون من طرف الرياس، ثم استرجع **اليولداش1.** نفوذهم، فأصبح الداي يختار من بين ضباط الانكشارية، و ذلك بسبب الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية خلال عهد الدايات و التي ألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري و أضعفت مركز الرياس. **و تتميز فترة الدايات بالخصائص التالية :**

- **كان لفئة الرياس دورا بارزا في تأسيس حكم الدايات** الذين عملوا على تقليص نفوذ الديوان، و أصبحت سلطته شكلية، و بدخول الجزائر عهد الدايات عرفت استقرارا سياسيا.
- **تعتبر فترة الدايات من أهم الفترات التي مرت بها الجزائر**، حيث دامت مدة 159 سنة وهي تعادل نصف تاريخ التواجد العثماني بالجزائر، و يمكن أن نطلق على هذه المرحلة بمرحلة الاستقلال الحقيقي للجزائر عن الدولة العثمانية في تسيير شؤونها الداخلية و الخارجية، حيث احتفظت تركيا لنفسها بسلطات شكلية في

الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة و الاعتراف بمراسيم التعيين و التعاون في مجال الحروب، بحيث تقوم الجزائر بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية التركية في حالة تعرض تركيا للاعتداء خارجي (كما حصل في معركة نافارين سنة 1827) و كذا في تقديم دايات الجزائر لهدايا أثناء المناسبات الدينية و السياسية، لبنتهي الأمر بالحصار الفرنسي في سنة 1827م، وبعدها الاحتلال الفرنسي الذي أنهى الإيالة الجزائرية في عهد الداي حسين، آخر دايات الجزائر في سنة 1830م. و بالتالي القاسم المشترك بين الدولتين دفع بالجزائر إلى الإعلان عن ولائها الروحي و التبعية الاسمية للدولة العثمانية و تحالفها معها كدولة.

- **يعين الداي في منصبه مدى الحياة،** حيث كان هو المسؤول العسكري و السياسي للبلاد، والقاضي الأعلى في أمور الحرب و السلم و المسؤول على الضرائب و على التوظيف، أي له صلاحيات غير محدودة فقد كان القتل هو الوسيلة للحد من صلاحياته، وإن نفوذ الجيش البحري **(الرياس)** و الدايات لم يخدم الأهالي و لم يستجب لمطالبهم، حيث و قد توجهت القوات العسكرية و السياسية لخدمة مصالحهم، حيث تحول الرياس من جنود مناضلين و مقاتلين ضد القوات المسيحية المعادية للإسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم و للحكام، و بالمثل اهتم حكام الجزائر الدايات بجمع الثروة من العمليات الحربية، و لم يهتموا بتطور الدخل من الثروة الفلاحية و توفير الغذاء للسكان. وبذلك تنتهي مرحلة هامة من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، استمرت طيلة ثلاثة قرون كان للجزائر خلال دور هام في حوض البحر المتوسط، من خلال تنوع علاقاتها الخارجي ، ومكانتها وقوة أسطولها البحري **الأغا:** مصطلح من أصل فارسي، يعني السيد أستعمله الأتراك لدلالات كثيرة منها تطلق على ضابط مثل الإنكشارية .. **فرقة الرياس: هم ضباط البحر الذين نصبوا نظاما جديدا يتمثل في تعيين حاكم للبلاد باسم الداي**